

الموسم الجامعي 2019-2020م

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية
ظهر المهرارز - فاس

شعبة التاريخ- مسلك التاريخ والحضارة
وحدة الشرق الأقصى
(الفصل الرابع)
ذ. عبد الهادي البياض

الكتابة التاريخية عن الصين (رصد وملحوظات)

عندما تأسست أول إمبراطورية في الصين خلال القرن الثالث قبل الميلاد، كان عمر هذا التاريخ قد تجاوز ألف سنة، إلا أن وثائق ومصادر هذه المرحلة لا تتعدى بعض السجلات التقليدية.

وانطلاقاً من القرن الميلادي الثالث، عرفت الكتابة التاريخية الصينية تحولاً نوعياً؛ تجلّى في ارتفاع عدد الحوليات التاريخية، والتي أشرف على تحريرها وتدوينها مؤرخون يمتازون بحس نقدي، هذا فضلاً عن اهتمام بعض أباطرة الصين بالفكر التاريخي؛ حيث دأبوا على تعيين ثلّة من المؤرخين لتدوين أهم الأحداث التي طُبعت مراحل حكمهم، فكان من نتائج هذه العناية حصول تراكم هام في الوثائق الصينية التراثية المعروفة لدى الدارسين الصينيين بلفظ (shilu): وهي المادة المصدرية المهمة بالتاريخ الصيني الرسمي للسلالات والأسر المتعاقبة على حكم الصين، حيث تزخر بتعداد مناقب الأباطرة الأوائل المؤسسين؛ ثم التعريف بمنجزاتهم ومختلف تحركاتهم.

+أنواع الكتابة التاريخية الصينية الرسمية:

يمكن تصنيف أنواع الكتابة التاريخية الصينية الرسمية إلى العناصر الآتية:

- المذكرات التاريخية (SHIJI) للمؤرخ الصيني (SIMA QIAN)، وقد اهتم في مذكراته بتاريخ الصين من بداياته الأولى إلى حدود حكم أسرة الهان (HAN) في القرن الميلادي الثاني. كما تتضمن مذكرات أخرى تسلط الضوء على مرحلة حكم أسرة المينغ (MING)، وتتجلى أهمية هذا الصنف من المذكرات في وضع إطار واضح للأدب التاريخي الصيني، ويمكن تفريعه إلى ما يلي:
- الحوليات الرئيسية (BENJI): تهتم هذه الحوليات بسرد كرونولوجي للأحداث بناء على تعاقب السنوات من خلال جرد أهم الوقائع والأحداث التي ميزت التاريخ الصيني.
- اللوائح (BIAO): وهي عبارة عن دواوين وسجلات تتألف من لوائح تتضمن التعريف بالنبلاء وتراجم كبار الموظفين والمسؤولين.
- المنوغرافيات (ZUHAN): تتكون من تراجم خاصة بالأعلام الذين تركوا بصمات فكرية وسياسية، كما حوت معلومات ذات صلة بالدول التي كانت لها علاقة بالصين.
- المعاهدات: وهي عبارة عن معاهدات واتفاقيات ذات مضامين متنوعة تهتم مجالات اقتصادية وعسكرية...
- لا محيد للمهتم بتاريخ الصين من العناية بالمذكرات الصينية الرسمية لما تكتنزه من معلومات قيمة، بالرغم من كونها مذكرات رسمية ألف معظمها بغرض مدح الأسر الحاكمة وأباطرتها علاوة على تقديس الإيديولوجية السائدة.

إلى جانب المذكرات الرسمية، فقد وجدت إلى جانبها مصنفات تاريخية من إبداع مؤرخين لا ارتباط لهم بالأباطرة ولا بالأسر الحاكمة، بحيث لم يمارسوا وظائف رسمية في القصور، وهي عبارة عن وثائق تؤرخ للقرن الميلادي 11م.

ومما يمكن تسجيله بشأن الكتابة التاريخية الرسمية والخاصة اعتمادها على قاسم مشترك يتجلى في المصدر المدون؛ خصوصا إذا علمنا قلة البقايا الأثرية وندرتها. هذا فضلا عن ظهور الطباعة مما جعل النص التاريخي يستمد مادته التاريخية من الوثيقة المكتوبة.

كما حظي التاريخ الصيني باهتمام من قبل المؤرخين الأجانب، وخاصة اليابانيين الذين كانوا مهتمين بمعرفة تاريخ بلد الصين المجاور لهم. وبالمثل اعتنى الأوروبيون بتاريخ الصين وانظمتها الفريدة والمعقدة. فقد أولى الأوروبيون عناية لتاريخ الصين منذ القرن الميلادي 16م من خلال ظهور كتابات تعرف بالحضارة الصينية؛ ثم تطور اهتمامهم بها إبان القرن الميلادي 18م إلى أفراد جنس معرفي خاص بها دعي بعلم الصينوة (SINOLOGIE)، ومن بين من تعاطى لهذا العلم من الأوروبيين: (STANISLAS JULIEN-EDWARD CHAVANAS)، وقد امتازت كتاباتهم بالتركيز على الحقب التاريخية الموعلة في القدم على حساب تاريخ الصين الحديث، ويمكن تأطير مواضيعهم زمنيا ما بين القرنين الميلاديين السابع والتاسع؛ أي خلال حكم أسرة التانغ (TANG). كما شمل الاهتمام مراحل حكم أسرة مينغ (MING) خلال الفترة الممتدة من ق 14 حتى 17م.

ونتيجة للتحويلات العميقة التي شهدتها البنية المجتمعية للصين من خلال الانفتاح على الغرب ابتداء من أربعينيات القرن الماضي، حيث انكب ثلة من المؤرخين الصينيين على إعادة كتابة تاريخهم من زاوية مادية مما أسهم في كشف الغموض عن تاريخ بعض الفئات الاجتماعية المهمشة في الصين وخاصة منهم المزارعين والعوام الذين أسهموا بحراكمهم في صياغة تاريخ الصين الحديث.

الموسم الجامعي 2019-2020م

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية
ظهر المهرارز - فاس

شعبة التاريخ- مسلك التاريخ والحضارة
وحدة الشرق الأقصى
(الفصل الرابع)
ذ. عبد الهادي البياض

التراتب الاجتماعي في الصين

لفهم تاريخ الصين وغدراك تحولاته باعتبار خصوصيته الشرقية، لا بد من استبعاد كل الصور النمطية التي رسمها الغرب عن الصين، إذ ليس من الموضوعية قراءة أحداث تاريخ الصين عموما بمعايير أوربية، مثل مقارنة الوضع الاجتماعي الصيني بإسقاطات الوضع الطبقي للغرب. ومن المانة العلمية استحضار معايير مرتبطة بالكيان الحضاري الصيني، ذلك ان التشكيلات الاجتماعية الصينية تتحدد في مركزية الفلاحة في الاقتصاد الصيني، ثم إديولوجية الرسمية الممثلة في الأخلاق الكونفوشيوسية.

بناء على ما تقدم تكشف الدراسات المختصة في الأوضاع الاجتماعية الصينية أن

المجتمع الصيني ظلت تتوزع فيه الأدوار أربع قوى إلى حدود القرن 19 م، وهي:

- المثقفون: تتربع هذه الفئة على سدة الهرم الاجتماعي، وهي التي تتحكم في مقاليد الأمور عبر ثلاثة مفاتيح: إديولوجية - سياسية - اقتصادية، ومن ثم فهي تستحوذ على المناصب العليا في البلاد. وبما أنم أفراد الأسر الكبرى يمتلكون أراضي شاسعة فهم يمارسون بذلك تأثيرا يعكس مظاهر اقتصادية متعددة.

- الفلاحون: يمثلون 90% من مجموع سكان الصين، وهم يعانون من ظروف اجتماعية قاسية، وعزائهم أنهم يمارسون أحسن الوظائف وأقدسها حسب تعاليم كونفوشيوس.
- الحرفيون: وهم الحرفيون القرويون والصناع الحضريون الذين يمارسون عدة حرف مرتبط أغلبها بالقطاع الفلاحي.
- التجار: كانت نظرة حكام الصين للتجارة نظرة ازدراء واحتقار باعتبارها في نظرهم حرفة وضيعة، ومن ثم حسب تعاليمهم فهي لا تستحق عناية الحكومة، فكان لهذه النظرة انعكاسا سلبيا على وضعية التجار في الاقتصاد الصيني، بحيث لم تشكل طبقة التجار إلا في نطاق ضيق ولم يكن لها تبعاً لذلك أي دور في تاريخ الصين رغم ثراء أفرادها مادياً، بل شغلت أسفل الهرم الاجتماعي وفق مبادئ تعاليم الكونفوشيوسية.

وقبيل منتصف القرن 19م (1840م) وقع تحول سريع - تحت صدمة موجة الاحتلال - في البناء الاجتماعي الصيني؛ تجلّى في إرهابات تبلور بوجوازية وظهور فئة عمالية. وبدأت في التشكل إلى جانب النخبة التقليدية فئة لها تكوين حديث كان لها حضور وازن في حياة الصين السياسية.